أسلوب الالتفات في القرآن الكريم

د. يحيى بن عبدربه بن حسن الزهراني

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك، وعظيم سلطانك، لك الحمد كالذي نقول، ولك الحمد خيرا مما نقول، اللهم يا معلم إبراهيم علمني ويا مفهم سليمان فهمني، سبحانك لا علم لي إلاّ ما علمتني إنك أنت العليم الحكيم، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة نبينا محمد وآله وصحبه وسلم أما بعد:

فإن كتاب ربنا لا تنتهي عجائبه ولا تنقضي فرائده، إنه كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أنزله الله على نبيه ومصطفاه؛ ليهدي به من الضلال وليخرج الناس من الظلمات إلى النور تكفل الله بحفظه إلى قيامة الساعة، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

إن الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وصحابته الكرام عرفوا للقرآن حقه، ولذا كانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى يحفظونها ويتعلموا ما فيها من خير وهدى، ثم يعقبوا ذلك بالعمل بما علموا، وهكذا سارت المسيرة، حيث سار من أتي من بعدهم على أثرهم حفظًا وتعلّمًا لكتاب الله، ففتحوا به الأمصار، ودانت لهم شعوب الأرض، لا بالسيف كما يزعم الأفّاكون والمارقون، كلاّ؛ بلا جعلوا نور هذا الكتاب العزيز أمامهم فأناروا به دياجير الظلمات، وأخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وعلى مر السنين والأعوام ما زال أهل البصيرة من المسلمين يكتشفون عجائب هذا الكتاب المبين، ولا غرو فإنه كتاب رب الأرباب ومسبب الأسباب -إنه كتاب الله-.

والمتأمل فيما آلت إليه أحوال المسلمين في هذا الزمان من الذل

والهوان، والتفرق والتشرذم، وتكالب الأعداء عليهم = يوقن أن الأمة تتخبط وسبب هذا التخبط – ولا شك– البعد عن هداية القرآن، ومن عجب:

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمـــول

ولا يعني هذا القنوط والتسليم بالواقع المرير، كلا؛ بل على كل مسلم أن يوقن بإخبار النبي ﷺ بأنه لا تزال طائفة من أمته على الحق منصورة، لا يضرها من خذلها ولا من خالفها إلى قيام الساعة.

وفي اعتقادي القاصر أن زمرة العلماء الصادقين تدخل في هذه الطائفة من باب الأوليّة، وقلت: (الصادقين)؛ لأنه سواهم في الأمة كثير ممن يدعي العلم والعلم منه براء، إما من جهة التعليم، أو من جهة التطبيق.

وحين أتكلم عن مثل هذه القضية، أقصد – والله من وراء القصد – إثارتها وإيجاد الحلول لها، وهي في الأخير واقع لا يخفى على أحد، ممن يشتغل بالعلم.

وأحسب أن من الحلول – للخروج مما نحن فيه – أن يتولى تربية أبناء المسلمين علماء ربانيون، فـ «هُمْ عِمَادُ النَّاسِ فِي الْفِقْهِ وَالْعِلْمِ وَأُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَلِذَلِكَ قَالَ مُجَاهِدٌ: «وَهُمْ فَوْقَ الْأَحْبَارِ»؛ لِأَنَّ الْأَحْبَارَ هُمُ الْعُلَمَاءُ. وَالرَّبَّانِيُّ: الْجَامِعُ إِلَى الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ الْبَصَرَ بِالسِّيَاسَةِ وَالتَّدْبِيرِ وَالْقِيَامِ بِأُمُورِ الرَّعِيَّةِ، وَمَا يُصْلِحُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَدِينِهِمْ»[1].

وبعد، فهذا بحثٌ موضوعه (أسلوب الالتفات في القرآن)؛ ذلك أن معرفة هذا الأسلوب من الأهمية بمكان لفهم كتاب الله تعالى، ولذلك سماه ابن الأثير: (شجاعة العربية)، ثم علل هذه التسمية بقوله: «لأن الشجاعة هي

(١) تفسير الطبري، (٥ / ٥٣١).

الإقدام، وذاك أن الرجل الشجاع يركب ما لا يستطيعه غيره، ويتورد ما لا يتورده سواه، وكذلك هذا الالتفات في الكلام، فإن اللغة العربية تختص به دون غيرها من اللغات»[1]، وسيأتي في طيات هذا البحث جملة من فوائد الالتفات؛ تبين أهميته، وأهمية معرفته.

هذا وقد قسَّمتُ هذا الموضوع إلى مباحث، فكانت خطته كما يلي:

المقدمة، وفيها بيان أهمية الموضوع وخطته.

* **المبحث الأول: تعريف الالتفات.**
* **المبحث الثاني: أسباب الالتفات في القرآن الكريم.**
* **المبحث الثالث: شروط الالتفات في القرآن الكريم.**
* **المبحث الرابع: أقسام الالتفات في القرآن الكريم.**
* **الخاتمة، فيها أهم النتائج.**
* **ثبت المصادر والمراجع.**

وفي ختام هذا التقديم أقول: هذا جهد المقل، بذلت فيه الوسع والطاقة، وأسأل الله أن ينفعني به يوم أن ألقاه سبحانه،وأن يجعله حجة لي لا عليَّ، كما أسأله – سبحانه– أن ينفع به كل من قرأه، وأن يقر أعيننا جميعًا بعز الإسلام والمسلمين، وما ذلك على الله بعزيز.

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، (٢/ ١٣٥)

• **المبحث الأول: تعريف الالتفات:**

في اللغة: قال ابن فارس - رحمه الله -(١): «اللام والفاء والتاء كلمة واحدة تدل على اللَّي وصرف الشيء عن جهته المستقيمة. منه لفت الشيء: لويته، ولفت فلانًا عن رأيه: أي صرفته .. ومنه الالتفات، وهو أن تعدل بوجهك»(٢).

وقال صاحب اللسان: «وتلفَّت إلى الشيء والتفت إليه: صرف وجهه إليه، قال:

أرى الموت بين السيف والنطع كامنًا يلاحظني من حيث ما أتلفَّت

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ﴾ [هود: ٨١]، أمر بترك الالتفات؛ لئلا يرى عظم ما ينزل بهم من العذاب»(٣).

ومما سبق نلاحظ أن مادة (لفت) تدور معانيها على معنى واحد كما أشار إلى ذلك ابن فارس، وهو التحول والانصراف.

في الاصطلاح: نقل ابن الأصبع - رحمه الله - (٤) معنى (الالتفات)

---

(١) أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازيّ، من أئمة اللغة والأدب. قرأ عليه جمع من أعيان البيان، أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الريّ فتوفي فيها سنة خَمْسٍ وَتِسْعِيْنَ وَثَلاَثِ مائَةٍ- رحمه الله -. يُنظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (١٧/ ١٠٣)، والأعلام للزركلي، (١/ ١٩٣).

(٢) معجم مقاييس اللغة ص ٩٥٨.

(٣) لسان العرب ٢/ ٨٤.

(٤) أبو مُحَمَّد، عبد الْعَظِيم بن عبد الْوَاحِد بن ظَافِر ابْن أبي الإصبع العدواني الْمصْرِيّ، الأديب، الشَّاعِر الْمَشْهُور، الإِمَام فِي الْأَدَب، تُوفِّي بِمصْر سنة أربع وَخمسين وستمائة- رحمه الله -.ينظر: الوافي بالوفيات، للصفدي، (١٩/ ٥)، والأعلام للزركلي، (٤/ ٣٠).

عن قدامة بن جعفر – رحمه الله – [1] فقال: «فسّر قدامة – يعني ابن جعفر – الالتفات بأن قال: هو أن يكون المتكلم آخذًا في معنى فيعترضه إما شك فيه، أو ظن أن رادًا يرد عليه، أو سائلا يسأله عن سببه، فيلتفت إليه بعد فراغه منه، فإما أن يجلي الشك فيه أو يؤكده، أو يذكر سببه»[2].

وقال ابن المعتز– رحمه الله –[3]: «هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك. ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر»[4].

قال شيخنا (محمد محمد أبو موسى) – حفظه الله ونفع بعلمه – بعد أن نقل كلام ابن الأثير السابق، ونقده–: «والمهم في كلام ابن الأثير أنه يقول إنك ترى الكلام بهذا الفن البلاغي يلتفت هاهنا وهاهنا وكأن الأسلوب حيّ يتحرك ويتلفت،... هذا وقد اشتهر في تحديد الالتفات مذهبان: مذهب الجمهور، ومذهب السكاكي [5].

---

(١) أبو الفرج، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، كاتب، من البلغاء الفصحاء المتقدمين في علم المنطق والفلسفة، كان في أيام المكتفي بالله العباسي، وأسلم على يده، وتوفي ببغداد سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة – رحمه الله –. ينظر: الوافي بالوفيات، (٢٤/ ١٥٣)، والأعلام للزركلي (٥/ ١٩١)

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ص ١٢٣.

(٣) أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي، الشاعر المبدع، خليفة يوم وليلة، ولد في بغداد، وأولع بالأدب، فكان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم، توفي سنة ست وتسعين ومائتين – رحمه الله –. ينظر:الأعلام للزركلي (٤/ ١١٨) ،وفوات الوفيات لصلاح الدين، (٢/ ٢٣٩).

(٤) مصدر سابق.

(٥) أبو يعقوب سراج الدين يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي، عالم بالعربية والأدب. ولد بخوارزم وتوفي بها سنة ست وعشرين وستمائة – رحمه الله –.ينظر: الأعلام للزركلي، (٨/ ٢٢٢).

أما الجمهور فيقولون في تحديده: إنه التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها، والطرق الثلاثة هي: التكلم والخطاب والغيبة.

فالجمهور بقولهم: (بعد التعبير عنه بطريق آخر منها) أنه لا يكون في أول الكلام سواء وافق مقتضى الظاهر أو خالفه..

أما السكاكي فيرى هذا التفاتًا، نحو قول القائل: " ويحك ما فعلت " وهو يخاطب نفسه..

ولهذا قالوا: إن كل التفات عند السكاكي التفات عند الجمهور من غير العكس»[1].

• **المبحث الثاني: أسباب الالتفات:**

يرى الزمخشري – رحمه الله – أن الرجوع من الغيبة إلى الخطاب – أي الالتفات – إنما يستعمل للتفنن في الكلام والانتقال من أسلوب إلى أسلوب تطرية لنشاط السامع وإيقاظًا للإصغاء إليه [2].

لكن ابن الأثير الجزري – رحمه الله – يخالف الزمخشري في هذا، فيقول: «وليس الأمر كما ذكره – أي الزمخشري – لأن الانتقال في الكلام من أسلوب إلى أسلوب تطرية لنشاط السامع وإيقاظًا للإصغاء إليه، فإن ذلك دليل على أن السامع يمل من أسلوب واحد فينتقل إلى غيره ليجد نشاطًا للاستماع، وهذا قَدْحٌ في الكلام لا وصف له، لأنه لم كان حسنًا لما ملّ، ولو سلّمنا إلى الزمخشري ما ذهب إليه لكان إنما يوجب ذلك في الكلام المطول،

(١) خصائص التراكيب ص ٢٥٠ – ٢٥١.

(٢) ينظر: الكشاف.

ونحن نرى الأمر بخلاف ذلك، لأنه قد ورد الانتقال من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ويكون مجموع الجانبين معًا يبلغ عشرة ألفاظ أو أقل من ذلك.

ومفهوم قول الزمخشري في الانتقال من أسلوب إلى أسلوب إنما يستعمل قصدًا للمخالفة بين المنتقل عنه والمنتقل أليه لا قصدًا لاستعمال الأحسن.

وعلى هذا فإذا وجدنا كلامًا قد استعمل في جميعه الإيجاز ولم ينتقل عنه أو استعمل فيه جميعه الإطناب ولم ينتقل عنه، وكان كلا الطرفين واقعًا في موقعه قلنا: هذا ليس بحسن إذا لم ينتقل فيه من أسلوب إلى أسلوب، وهذا قول فيه ما فيه، وما أعلم كيف ذهب على مثل الزمخشري مع معرفته بفن الفصاحة والبلاغة»[1].

ثم بيَّن رأيه في هذه المسألة فقال: «والذي عندي في ذلك أن الانتقال من الخطاب إلى الغيبة أو من الغيبة إلى الخطاب، لا يكون إلاّ لفائدة اقتضته، وتلك الفائدة أمْرٌ وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب، غير أنها لا تحدّ بحدٍّ ولا تضبط بضابط، لكن يشار إلى مواضع منها ليقاس عليها غيرها»[2].

والحق – والله أعلم – الجمع بين هذين القولين، إذ لا تعارض بينهما، يقول الزركشي – رحمه الله – في برهانه: «اعلم أن للالتفات فوائد عامة وخاصة، فمن العامة التفنن والانتقال من أسلوب إلى أسلوب آخر لما في ذلك من تنشيط السامع، واستجلاب صفائه، واتساع مجاري الكلام، وتسهيل الوزن

(١) المثل السائر في الكاتب والشاعر ١ / ٤٠٩.

(٢) المصدر السابق.

والقافية شعرًا ونثرًا .. وأما الخاصة فتختلف باختلاف محلّه ومواقع الكلام فيه على ما يقصده المتكلم»[1].

وهو بهذا القول يجمع بين الأقوال، فيرى أن قول الزمخشري يدخل في الفوائد العامة، وما ذهب إليه ابن الجزري يكون منضويًا تحت الفوائد الخاصة.

وعلى ما سبق فالفوائد الخاصة كثيرة، وقد ذكر الزركشي وغيره جملة منها، أذكر هنا – على سبيل المثال – بعضًا منها:

١- قصد تعظيم شأن المخاطب كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، فإن العبد إذا افتتح حمد مولاه بقوله: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ الدال على اختصاصه بالحمد وجد من نفسه التحرك للإقبال عليه سبحانه، فإذا انتقل إلى قوله: ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الدال على ربوبيته لجميعهم قوي تحركه، فإذا قال: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ الدال على أنه منعم بأنواع النعم جليلها وحقيرها تزايد التحرك عنده، فإذا وصل إلى: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ وهو خاتمة الصفات الدالة على أنه مالك الأمر يوم الجزاء فيتأهب قربة، ويتقن الإقبال عليه بتخصصه بغاية الخضوع والاستعانة في المهمات.

ثم انتقل خطاب الغائب إلى الحاضر فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ينسب إلى التعظيم حال المخاطبة والمواجهة على ما هو أعلى رتبة وذلك عن طريق التأدب.

وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ مصرحًا

(١) البرهان في علوم القرآن ٣/ ٣٩٠- ٣٩١.

بذكر المنعم ولإسناد الإنعام إليه لفظًا، ولم يقل: (صراط المنعم عليهم)، فلما صار إلى ذكر الغضب روى عنه الغضب في النسبة إليه لفظًا وجاء باللفظ متحرفًا عن ذكر الغاضب فلم يقل: (غير المغضوب غضبت عليهم)؛ تفاديًا عن نسبة الغضب في اللفظ حال المواجهة.

٢- التنبيه على ما حق الكلام أن يكون واردًا عليه، كقوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٢٢]، أصل الكلام: (ومالكم لا تعبدون الذي فطركم) ولكنه أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه، وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويريهم أنه لا يريد لهم إلاّ ما يريد لنفسه ثم انقضى غرضه ذلك قال: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، ليدل على ما كان من أصل الكلام ومقتضيًا له، ثم ساقه هذا المساق إلى أن قال: ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ﴾ [يس: ٢٥].

٣- أن يكون الغرض به التتميم لمعنى مقصود للمتكلم فيأتي به محافظة على تتميم ما قصد إليه من المعنى المطلوب، كقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الدخان: ٤-٦]، أصل الكلام: (إنا كنا مرسلين رحمة منا) ولكنه وضع الظاهر موضع المضمر للإنذار بأن الربوبية تقتضي الرحمة للمربوبين للقدرة عليهم، أو لتخصيص النبي ﷺ بالذكر أو الإشارة إلى الكتاب إنما هو إليه دون غيره، ثم التفت بإعادة الضمير إلى الرب الموضوع موضع المضمر للمعنى المقصود من تتميم المعنى.

٤- قصد البالغة، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ

طَيِّبَةٍ ﴾ [يونس: ٢٢]، كأنه يذكر لغيرهم حالهم لتعجب منها ويستدعي منه الإنكار والتقبيح لها، إشارة منه على سبيل المبالغة إلى أن ما يعتمدونه بعد البغي في الأرض بغير الحق مما ينكر ويقبح.

٥- قصد الدلالة على الاختصاص، كقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ [فاطر: ٩]، فإنه لما كان سَوْق السحاب إلى البلد الميت وإحياء الأرض بعد موتها بالمطر دالاً على القدرة الباهرة التي لا يقدر عليها غيره، عدل عن لفظ الغيبة إلى التكلم لأنه أدخل في الاختصاص ودل عليه ﴿فَسُقْنَٰهُ ﴾، و﴿فَأَحْيَيْنَا ﴾.

٦- قصد الاهتمام، كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [فصلت: ١١- ١٢]، فعدل عن الغيبة في ﴿فَقَضَىٰهُنَّ ﴾، ﴿وَأَوْحَىٰ ﴾ إلى التكلم في ﴿ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا ﴾ للاهتمام بالإخبار عن نفسه، فإنه تعالى جعل الكواكب في سماء الدنيا للزينة والحفظ، وذلك لأن طائفة اعتقدت في النجوم أنها ليست في سماء الدنيا وأنها ليست حفظًا ولا رجومًا، فعدل إلى التكلم والإخبار عن ذلك لكونه مهمًا من مهمات الاعتقاد ولتكذيب الفرقة المعتقدة بطلانه.

٧- قصد التوبيخ، كقوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴾ [مريم: ٨٨-٨٩]، فقد عدل عن الغيبة إلى الخطاب؛ للدلالة على أن قائل مثل قولهم ينبغي أن يكون مُوبخًا ومُنكرًا عليه، ولما أراد توبيخهم

على هذا أخبر عنه بالحضور فقال: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ﴾؛ لأن توبيخ الحاضر أبلغ في الإهانة له [1].

إلى غير ذلك من الفوائد التى تظهر جلية لمن تدبر القرآن واعمل فكر ه وذهنه، وكما يردد شيخنا (أبو موسى) – حفظه الله – مقولة: «إن شرف الوقوف على الكلام أن تتدبر».

• **المبحث الثالث: شروط الالتفات:**

أولاً: أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائدًا في نفس المر إلى المنتقل عنه.

ثانيًا: أن يكون في جملتين، أي كلامين مستقلين، حتى يمتنع بين الشرط وجوابه.

قال الزركشي: «وفيه نظر – أي الشرط الثاني – فقد وقع في القرآن مواضع الالتفات فيها وقع في كلام واحد وإن لم يكن بين جزأي الجملة، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [العنكبوت: ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩].

وقوله: ﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠] بعد قوله: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ﴾، التقدير: إن وهبت أمرأة نفسها للنبي ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ﴾ وجملتا الشرط والجزاء كلام واحد.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ﴾[الفرقان: ١٧].

---

(١) ينظر: البرهان ٢/ ٣٩٢ – ٣٩٥، وأساليب بلاغية ص ٢٧٧ – ٢٧٩.

وقوله: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [الفتح: ٨-٩]؛ وفيه التفاتان: أحدهما بين (أرسلنا) والجلالة، والثاني بين الكاف في (أرسلناك) (ورسوله) وكل منهما في كلام واحد.

وقوله: ﴿ سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٥١].

وقوله: ﴿ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا ﴾ [الإسراء: ٦٣]، وجوز الزمخشري فيه أن يكون ضمير جزاؤكم يعود على التابعين على طريق الالتفات[١].

وقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا يُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٨١]على قراءة الياء.

• المبحث الرابع: أقسام الالتفات:

قال شيخنا(أبو موسى) – حفظه الله ونفع بعلمه –: «والالتفات عند الجمهور يتضمن ست صور» [٢]وقال – حفظه الله – في موضع آخر من خصائصه: «الحق بعض الدارسين التعبير عن الماضي بالمضارع والتعبير عن المضارع بالماضي أو الأمر، وما شابه هذا التصرف بباب الالتفات، ملاحظين كما يرجح العلوي _ هو العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول، وقال: (وهذا أحسن من قولنا: هو العدول من غيبة إلى

(١) الكشاف٢/ ٤٥٦، وعبارة الزمخشري – رحمه الله – هي:« فإن قلت: أما كان من حق الضمير في الجزاء أن يكون على لفظ الغيبة ليرجع إلى (من تبعك) ؟! قلتُ: بلى، ولكن التقدير: فإن جهنم جزاؤهم وجزاؤك، ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم، ويجوز أن يكون للتابعين على طريق الالتفات»

(٢)خصائص التراكيب ص ٢٥١.

خطاب، ومن خطاب إلى غيبة؛ لأن الأول يعم سائر الالتفاتات كلها، والحد الثاني إنما هو مقصور على الغيبة والخطاب لا غير، ولاشك أن الالتفات قد يكون من الماضي إلى المضارع وقد يكون على عكس ذلك فلهذا كان الحد الأول هو أقوى دون غيره).

وقد قلنا: إن المشهور في حده مذهبان، وهذا الذي يقوله العلوي خلاف المشهور وقد ذكره ابن الأثير»[1].

وعليه سوف أذكر الأقسام التي اتفق الجمهور عليها وادع ما ألحق بالالتفات وليس منها على رأيهم.

الصورة الأولى: الانتقال من التكلم إلى الخطاب:

ووجه حث السامع وبعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلم عليه واهتم به.

ومنه قوله تعالى- في حكاية مقالة الرجل المؤمن الذي كان يدعو قومه من أهل أنطاكية -: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [يس: ٢٠].

قال شيخنا- نفع الله بعلمه - محللاً ومبيناً الالتفات في هذه الآية «قال: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾، فجاء بكلامه على طريقة التكلم، ثم قال: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس: ٢٢]. وكان السياق أن يقول: وإليه أرجع، لكنه جاء على طريق الالتفات، وفيه شدة تحذير لهم وتنبيه إلى أنهم صائرون إلى الله وراجعون إليه، ولا يتأتى هذا لو قال: وإليه ارجع، الالتفات فيه مواجهتهم

(١) مصدر سابق ص ٢٦٢.

بصيرورتهم إلى من يكفرون به، وكأنه يقول لهم: كيف لا تتقون من يؤول أمركم إليه وتسألون بين يديه»[١].

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

فالتفات من التكلم إلى الخطاب في قوله سبحانه: ﴿رَبِّكَ﴾؛ لأن ما قبله من القصص كان غير معلوم له ﷺ وأما كونه جل شأنه منجزًا لما وعد ومجريا لما قضى وقدر فهو معلوم له عليه الصلاة والسلام، وذكر في الكشف أنه ادمج في هذا الالتفات أنه ستتم كلمة ربك في شأنك أيضا[٢].

الصورة الثانية: من التكلم إلى الغيبة:

ووجهه أن يفهم السامع أن هذا نمط المتكلم وقصده من السمع حضر أو غاب، وأنه في كلامه ليس ممن يتلون ويتوجه، فيكون المضمر ونحوه ذا لونين، وأراد بالانتقال إلى الغيبة الإبقاء على المخاطب، فالغيبة أروح له[٣].

ومنه قول الله تعالى: ﴿ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا

(١) خصائص التراكيب ص ٢٥١.
(٢) روح المعاني ٩ / ٥٤- ٥٥.
(٣) انظر :البرهان ٢ / ٣٨٢ – ٣٨٣، وأساليب بلاغية ص ٢٨٠.

يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٣٥]، فأصله: (من ثمرنا)، كما قال: ﴿ وَجَعَلْنَا ﴾، ﴿وَفَجَّرْنَا﴾، فنقل الكلام من التكلم إلى الغيبة على طريقة الالتفات(١).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ [الرعد: ٣٧]، فهنا الالتفات من التكلم إلى الغيبة وإيراد الاسم الجليل لتربية المهابة، وقد قيل: لا يكون إلها حتى يكون معبودًا وحتى يكون خالقا ورازقا ومدبرًا (٢).

ومنه قوله تعالى: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [طه: ٤-٨].

فـ «الانتقال من التكلم إلى الغيبة؛ للتفنن في الكلام، وتفخيم المنزل من وجهين: إسناد إنزاله إلى ضمير الواحد العظيم الشأن، ونسبته إلى المختص بصفات الجلال والإكرام، والتنبيه على أنه واجب الإيمان به والانقياد له من حيث أنه كلام من هذا شأنه» (٣).

ومنه قول الله تعالى: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [التوبة: ١-٢].

ساق الألوسي - رحمه الله - في روح المعاني، ما ذكره صاحب

(١) ينظر: الكشاف ٣/ ٣٢٢.

(٢) ينظر: تفسير أبو السعود ٢٦/٥.

(٣) تفسير البيضاوي ٤١/٤.

الكشاف عند هذه الآيات: «...ثم التفات من التكلم إلى الغيبة في: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ والأصل (غير معجزيَّ وإني)، وفي هذا الالتفات بعد الالتفات الأول افتنان في أساليب البلاغة، وتفخيم للشأن، وتعضيهم للأمر، ثم يتلوا هذا الالتفات العود إلى الخطاب في قوله سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم﴾ الخ، وكل هذا من حسنات الفصاحة»، ثم قال بعد أن ذكر كلام الزمخشري السابق: «ولا يخفى ما فيه من كثرة التعسف»(٣).

ومنه قوله تعالى قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ (٤)، فجاء الكلام على طريقة التكلم ثم انتقل إلى الغيبة في قوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقو: (فصل لنا)، وفيه إشارة إلى حثه على الصلاة؛ لأنها لربه الذي رعاه ورباه، فكأنه يقوي داعي الصلاة بذكر ربه(٥).

ومثله قول الله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (١)، فقد جرى الأسلوب كما ترى على طريقة التكلم: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ...إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ..مِّنْ عِندِنَآ مُنذِرِينَ .. ﴾، ثم أنتقل إلى طريقة الغيبة فقال: ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾، وكان مقتضى ظاهر السياق أن يقول:

---

(٣) روح المعاني ١٠ / ٣٤٠.

(٤) الكوثر ١– ٢.

(٥) انظر: الخصائص ص ٢٥٢، والبرهان ٢ / ٣٨٣.

(١) الدخان:١– ٦.

(رحمة منا)، ولكن الانتقال هيَّأ خطاب الرسول ﷺ وهو المنزل عليه الكتاب، ولو قال: (رحمة منا)، لما كان هناك سبيل إلى ذكره ﷺ، ثم إنه لمّا قال: ﴿ رَحْمَةً ﴾ ناسبها ذكر الرب، لأنه يشير إلى معنى التربية والرفق والعناية[٢].

ومنه قول الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[٣]، فقد جرى الأسلوب كما ترى على طريقة التكلم ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾، ثم انتقل إلى طريقة الغيبة ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾، وكان مقتضى ظاهر الأسلوب أن يقول: (فآمنوا بالله وبي)، والالتفات إلى الاسم الظاهر هيَّأ إلى الأوصاف المذكورة بعده: ﴿ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ ﴾، وهي أوصاف مهمة في السياق لأنها تحث على الايمان به، وكان الرسول ﷺ يدعوهم إلى تصديقه، لا لذاته ولكن لهذه الأوصاف، أي كونه رسولاً أميًا، وهذه الأوصاف تتضمن نوعًا من البرهان على رسالته لأن ما يخبرهم به من وحي السماء وليس من معارفه المحصلة بالقراءة [٤].

ومن تأمل كلام الله حق التأمل، وما سطره نجوم هذه الأمة من علمائها في تفسيره، فإنه سيجد الكثير والكثير من العجائب والفرائد، وطلبًا للاختصار أختم بمثال من الشعر.

---

(٢) الخصائص ص ١٥٨

(٣) الأعراف:١٥٨.

(٤) الخصائص ص ٢٥٢ – ٢٥٣.

قال الحصين بن الحمام في مفضليته (من الطويل):

وأنجين من أبقين منا بخـــطة من العذر لم يدنس وإن كان مؤلما

أبى لابن سلمى أنه غيـر خالـد مـلاقى المنايا أيّ صـرف تيممـا

فلسـت بمبتاع الحيـاة بسـبة مـن رهبـة العـيش سلـما

يصف الشاعر في البيت الأول خيلهم وقد نجت بمن بقـي مـنهم فـي معركتهم الظافرة، وقوله: (بخطه من العذر) أراد من بقي منهم ولم يقتل في هذه الحرب فقد أبلى بلاء يعذر فيه فلا يلام على بقائه فلم يـدنس وإن كـان مؤلمًا من جراحه.

قال: (أبى لابن سلمى) وهو يريد نفسه، وكان قد ذكرها بضمير جماعة المتكلمين في قوله: (من أبقين منا)، ولكنه نقل الحديث إلى الغيبة لخيل بذلك أنه يحدثنا عن فارس همام ويروي لنا قصة شجاعته العجيبة، ثم رجع إلـى نفسه واستمر الحديث عنها في البيت الثالث: (فلست بمبتاع الحياة)، وطريقة التكلم فيه هي التي تتسع لفيض شعوره واعتزازه بفضائله[1].

الصورة الثالثة: الالتفات من الخطاب إلى التكلم:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا ﴾[2]، قال الزركشي – رحمه الله –: «وهذا إنما يتمشى على قول من لم يشترط أن يكون المراد بالالتفات واحدًا، فأما من اشترطه فلا يحسن أن يمثل به، ويمكن أن يمثل

(١) الخصائص ص ٢٥٣.

(٢) طه: ٧٢- ٧٣.

بقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ [٣] على أنه سبحانه نزل نفسه منزلة المخاطب»[٤].

ومن ذلك شعرًا قول علقمة بن عبدة (من الطويل):

طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

يكلفني ليلى وقد شط وليها وعادت عواد بيننا وخطوب

فقوله: (طحا بك قلب) معناه: ذهب بك وأتلفك، وقوله: (شطّ وليها) أي: بعد قربها، والشاهد فيه: أن الكلام جرى في البيت الأول على طريق الخطاب في قوله (طحا بك قلب)، ثم أنتقل إلى طريق التكلم في قوله: (يكلفني) وحسن هذا الانتقال هو أن التكليف بليلى والحال كما وصف مقطع مهم من مقاطع المعنى ووقوعه على نفسه وقوعًا واضحًا ومباشرًا مما يقوي به الكلام[١].

قال المرصفي: «وقد مدح – يعنى علقمة – ملك غسان واستعطاه، وسأله مع طلب الجائزة أن يمنَّ على أخيه شاس بن عبدة، وكان أسيرًا عند الملك، ولم يكتف بهذا بل طلب الجائزة لأخيه»[١].

الصورة الرابعة: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة:

منه قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [٢]، قال ابن الجوزي – رحمه الله –: «فأما قوله: ﴿ مِنْهُمْ ﴾ فقال ابن

---

(٣) يونس :٢١.

(٤) البرهان ٢ / ٣٨٣.

(١) البلاغة العربية، لعبد الرحمن حبنكة، (١/ ٤٨٨)، الخصائص ص ٢٥٤.

(١) الخصائص ص ٢٥٤.

(٢) الأعراف: ١٨.

الأنباري: الهاء والميم عائدتان على ولد آدم؛ لأنه حين قال: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾[٣]، كان مخاطبا لولد آدم فرجع إليهم فقال: ﴿ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ ﴾، فجعلهم غائبين؛ لأن مخاطبتهم في ذا الموضع توقع لبسا، والعرب ترجع من الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى الخطاب»[٤].

ومنه قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[١].

قال أبو السعود – رحمه الله –: «وقرئ (وَضَعَتُ) على صيغة التكلم مع الالتفات من الخطاب إلى الغيبة؛ إظهارًا لغاية الإجلال، فيكون ذلك منها اعتذارًا إلى الله تعالى؛ حيث أتت بمولود لا يصلح لما نذرته من السدانة، أو تسلية لنفسها، على معنى: لعل الله تعالى فيه سرا وحكمة ولعل هذه الأنثى خير من الذكر فوجه الالتفات حينئذ ظاهر»[٢].

ومثله قول الله عز وجل: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٣].

ففي الآية السابقة رجوع من الخطاب إلى الغيبة، وقد علل الرازي – رحمه الله – ذلك بقوله: «والسبب فيه: أن المقصود من ذكر هذه الأحوال

(٣) الأعراف :١١.
(٤) زاد المسير ٣/ ١٧٨.
(١) آل عمران: ٣٦.
(٢) تفسير أبو السعود ٢/ ٢٨.
(٣) النحل: ٦٨ – ٦٩.

أن يحتج الإنسان المكلف به على قدرة الله تعالى، وحكمته، وحسن تدبيره لأحوال العالم العلوي والسفلي، فكأنه – تعالى – لما خاطب النحل بما سبق ذكره = خاطب الإنسان وقال: إنا ألهمنا هذا النحل لهذه العجائب؛ لأجل أن يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه»(٤).

ومنه قوله تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾(٥).

قال البيضاوي – رحمه الله –: «وإنما عدل فيه من الخطاب إلى الغيبة؛ مبالغ في التوبيخ وإشعارًا بأن الإيمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين، والكف عن الطعن فيهم، وذب الطاعنين عنهم كما يذوبهم عن أنفسهم»(٢).

ومنه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ (٣).

قال الشوكاني – رحمه الله –: «﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ ﴾ اي: من النار قرأ الجمهور: ﴿ يُخْرَجُونَ ﴾ بضم الياء وفتح الراء مبنيا للمفعول، وقرأ حمزة والكسائى بفتح الياء وضم الراء مبنيا للفاعل، والالتفات من الخطاب إلى الغيبة لتحقيرهم، ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي: لا يسترضون ويطلب منهم الرجوع إلى طاعة الله؛ لأنه يوم لا تقبل فيه توبة، ولا تنفع فيه معذرة»(٤).

---

(٤) التفسير الكبير ٢٠/ ٥٨.

(٥) النور: ١٢.

(٢) تفسير البيضاوي ٤/ ١٧٧.

(٣) الجاثية: ٣٥.

(٤) فتح القدير ١٤/٥.

ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[٥].

ففي قوله تعالى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ التفات من الخطاب إلى الغيبة، وقد اختلف أهل العلم في فائدة ذلك الالتفات، قال الشوكاني – رحمه الله –: «جعل الفائدة فيه صاحب الكشاف المبالغة، وقال الرازي: الانتقال من مقام الخطاب إلى مقام الغيبة في هذا المقام دليل المقت والتبعيد، كما أن عكس ذلك في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [١] دليل الرضا والتقريب»[٢].

قال شيخنا أبو موسى – رفع الله قدره في الدارين – «قال: ﴿كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾، فجاءت على طريق الخطاب، ثم ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ فنقل الأسلوب إلى الغيبة، والمخاطبون هم الذين إذا نجاهم الله من هول البحر والموج يبغون في الأرض بغير الحق، وكأن نقل الحديث إلى الغيبة فيه معنى التشهير بهم، وكأنه يروي قصتهم لغيرهم؛ لأن هذه الطبائع العجيبة جديرة بأن تُذاع وتُروى، ثم فيه لطيفة أخرى هي أنهم كانوا في مقام الخطاب كائنين في الفلك ﴿كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾، فهم في الشهود والوجود، ثم لما جرت بهم الريح ذهبوا بعيدًا عن مقام الخطاب فلاءم هذه الحال طريق الغيبة»[٣].

---

(٥) يونس :٢٢.

(١) الفاتحة: ٤.

(٢) فتح القدير ٢ / ٤٩٤.

(٣) الخصائص ص ٢٥٤ – ٢٥٥.

ومنه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ۝٩٢ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ﴾[٤].

قال الزمخشري – عليه رحمة الله –: «والأصل (وتقطعتم)، إلا أن الكلام حرف إلى الغيبة على طريقة الالتفات، كأنه ينعي عليهم ما أفسدوه إلى آخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم: ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله والمعنى جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة الشيء ويتقسمونه فيطير لهذا نصيب، ولذاك نصيب تمثيلاً لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقًا وأحزابًا شتىّ»[١].

قال شيخنا – نفع الله بعلمه –: «وفي هذا الالتفات إشارة أخرى، هي أن الله سبحانه ينصرف عن هذه الأمة حين يتقطع أمرها بينها، وفيه أيضًا أنها تغيب عن مشهد الحياة حين تنحرف عن منهج القرآن، وانظر إلى الصورة الحية الكامنة في قوله: ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ﴾، وكيف يصير أمر الأمة وقوتها وكيانها قطعًا حين الاختلاف ويخربون بأيديهم أمرها وشأنها ويهدمون قوتها وريحها»[٢].

ولعمر الحق أن ما سطره يكتب بمداد من ذهب، فالشيخ يصف واقع الأمة الإسلامية المرير في هذا الزمان، ويتلمس لها الحلول الناجعة من مصدر عزها الذي اتخذته وراءها ظهريا، وفي ظني وعلمي – القاصر – أنه لن يستطيع سبر التنزيل المجيد وإخراج أمثال هذه اللآلي إلاّ من رسخ في العلم، وحرص على زيادة إيمانه بإدامة التفكر.

---

(٤) الأنبياء: ٩٢ – ٩٣.

(١) الكشاف: ٢ / ٥٨٣.

(٢) الخصائص :٢٥٥.

الصورة الخامسة: الالتفات من الغيبة إلى التكلم:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٣].

قال البيضاوي – رحمه الله –: «﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام له ووقوفه على مقاماتهم، وصرف الكلام من الغيبة إلى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات»[١].

أشار الزركشي – رحمه الله – أنه قد تكرر الالتفات في آية الإسراء في أربعة مواضع:

١- الانتقال من الغيبة في قوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ إلى التكلم في قوله: ﴿بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾.

٢- الانتقال من التكلم إلى الغيبة في قوله: ﴿لِنُرِيَهُ﴾، بالياء على قراءة الحسن.

٣- الانتقال من الغيبة إلى التكلم في قوله: ﴿آيَاتِنَا﴾.

٤- الانتقال من التكلم إلى الغيبة في قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٢].

ومنه قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾[٣].

---

(٣) الإسراء: ١.

(١) تفسير البيضاوي ٣/ ٤٣١.

(٢) البرهان ٣ / ٣٨٧.

(٣) طه: ٥٣.

قال الزمخشري – رحمه الله –: «﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ انتقل فيه من لفظ الغيبة: أي لفظ المتكلم المطاع؛ لما ذكرت من الافتنان والإيذان بأنه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة لأمره».(٤)

وتعقبه عدوه اللدود – كما يقول شيخنا – ابن المنير – رحمه الله – في حاشيته على الكشاف بقوله: «﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا ﴾، إلى قوله: ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾، فإما أن يجعل من قول موسى، فيكون من باب قول خواص الملك: أمرنا وعمرنا، وإنما يريدون الملك وليس هذا بالتفات، وإما أن يكون كلام موسى قد انتهى عند قوله: ﴿وَلَا يَنسَى﴾؛ ثم ابتدأ الله تعالى وصف ذاته بصفات إنعامه على خلقه، فليس التفاتًا أيضًا، وإنما هو انتقال من حكاية إلى إنشاء خطاب، وعلى هذا التأويل ينبغي للقارئ أن يقف وقفة عند قوله: ﴿وَلَا يَنسَى ﴾ ليستقر بانتهاء الحكاية. ويحتمل وجهًا آخر وهو أن موسى وصف الله تعالى بهذه الصفات على لفظ الغيبة فقال: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾، فلما حكاه الله تعالى عنه أسند الضمير إلى ذاته؛ لأن الحاكي هو المحكي في كلام موسى، فمرجع الضميرين واحد، وهذا الوجه وجه حسن دقيق الحاشية، وهذا أقرب الوجوه إلى الالتفات لكن الزمخشري لم يعنه، والله أعلم»(١).

إلاَّ أن صاحب أضواء البيان وافق الزمخشري في وجود الالتفات

---

(٤) الكشاف ٢ / ٥٤٠.

(١) الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال،بحاشية الكشاف ٢/٥٤٠.

من الغيبة إلى التكلم في هذا الموضع، وذكر أن فائدة هذا الالتفات التعظيم.

ثم عدَّد – رحمه الله – أمثلة مشابهة للمثال السابق، فقال: « ونظيره في القرآن قوله تعالى في الأنعام: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ﴾ (٢).

وقوله في فاطر: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ﴾(٣).

وقوله في النمل: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾(٤).

وهذا الالتفات من الغيبة إلى التكلم بصيغة التعظيم في هذه الآيات كلها في إنبات النبات = يدل على تعظيم شأن إنبات النبات؛ لأنه لو لم ينزل الماء، ولم ينبت شيئًا لهلك الناس جوعًا وعطشًا، فهو يدل على عظمته جل وعلا، وشدة احتياج الخلق إليه، ولزوم طاعتهم له جل وعلا»(١).

وقال البيضاوي عند تفسير آية النمل: «﴿وَأَنزَلَ لَكُم ﴾ لأجلكم، ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾، عدل به من الغيبة إلى التكلم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته، والتنبيه على أن إنبات الحدائق البهية المختلفة الأنواع

(٢) الأنعام: ٩٩.

(٣) فاطر: ٢٧.

(٤) النمل: ٦٠.

(١) أضواء البيان ٤/٤٥٦ – ٤٥٧.

المباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره، كما أشار إليه بقوله: ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَن تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾»[٢]

ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[٣].

قال أبو السعود – رحمه الله –: «﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾، التفات من الغيبة إلى التكلم؛ لتربية المهابة، وإلقاء الرهبة في القلوب، ولذلك قدَّم وكرَّر الفعل، أي: إن كنتم راهبين شيئًا فإيَّاي ارهبوا، فارهبوا لا غيرُ فإني ذلك الواحد الذي يسجد له ما في السموات والأرض»[٤].

وقال البيضاوي – رحمه الله –: «إن الوحدة من لوازم الإلهية ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾، نقل من الغيبة إلى التكلم؛ مبالغة في الترهيب، وتصريحا بالمقصود، فكأنه قال: فأنا ذلك الإله الواحد فإياي فارهبون لا غير»[٥].

وقال الكلبي – رحمه الله –: «﴿فَارْهَبُونِ﴾ خرج من الغيبة إلى التكلم؛ لأن الغائب هو المتكلم، و(إياي) مفعولٌ بفعل مضمر، ولا يعمل فيه ﴿فَارْهَبُونِ﴾؛ لأنه قد أخذ معموله»[٦].

ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ

(٢) تفسير البيضاوي ٤ / ٢٧٣.
(٣) النحل: ٥١.
(٤) تفسير أبو السعود ٥/ ١١٩.
(٥) تفسير البيضاوي ٣ / ٤٠٣.
(٦) التسهيل لعلم التنزيل ٢ / ١٥٥.

كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾[1].

قال شيخنا أبو موسى – رزقه الله عمرًا مديدًا على عمل صالح –: «جاء الكلام على طريق الغيبة في قصة خلق السموات، وهي أخبار تروى من الغيب البعيد بيننا وبينه ملايين السنين هي عمر هذه الأرض، ثم انتقل إلى طريق التكلم في قوله: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾، وكان الالتفات هنا ذا مغزى مهم؛ لأن السماء الدنيا وما فيها من كواكب = من أظهر وأوضح الآيات التي تشير إلى القدرة الخالقة والتي يحث القرآن على النظر إليها كثيرًا، الالتفات إذن كأنه لفت إلى الموضع الذي تؤخذ منه العبرة، وتدنو به الحقيقة الدالة من القلوب المعتبرة»[2].

الصورة السادسة: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب:

ومنه قوله تعالى: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۚ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴾[3].

قال الزمخشري – رحمه الله –: «ثم نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب، وفي هذا النقل ما يدل على فضل تشديد، فقيل: ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾ فيما أمرتن به من الاحتجاب، وأنزل فيه الوحي من الاستتار، واحططن فيه وفيما استثنى

(١) فصلت: ١١– ١٢.

(٢) الخصائص: ٢٥٦.

(٣) الأحزاب: ٥٥.

منه ما قدرتن، واحفظن حدودهما، واسلكن طريق التقوى في حفظهما، وليكن عملكنَّ في الحجب أحسن مما كان وأنتن غير محجبات؛ ليفضل سرّكنَّ علنكنَّ إن الله كان على كل شيء من السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه شهيدًا لا يتفاوت في علمه الأحوال»(١).

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[التوبة: ٣].

قال ابو السعود – رحمه الله –: «﴿فَإِن تُبْتُمْ ﴾ من الشرك والغدر التفات من الغيبة إلى الخطاب؛ لزيادة التهديد»(٢).

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴾(٣).

قال الشوكاني – رحمه الله –: «وفى قوله: ﴿ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴾ التفات من الغيبة إلى الخطاب، وفيه ردّ لهذه المقالة الشنعاء،و(الإدُّ) كما قال الجوهري: الداهية والأمر الفظيع»(٤).

ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾(٥).

---

(١) الكشاف ٣ /٢٧٢.

(٢) تفسير أبو السعود ٤٢/٤.

(٣) مريم :٨٨- ٨٩.

(٤) فتح القدير ٣/ ٣٩٥.

(٥) الفاتحة :٢ – ٥.

قال الزركشي – رحمه الله –: «وقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٣ إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فقد التفت عن الغيبة، وهو ﴿مَٰلِكِ﴾ إلى الخطاب، وهو ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ولك أن تقول إن كان التقدير: قولوا الحمد لله، ففيه التفاتان – أعنى في الكلام المأمور به:

أحدهما: في لفظ الجلالة فإن الله تعالى حاضر، فأصله الحمد لك.

والثاني: ﴿إِيَّاكَ﴾؛ لمجيئه على خلاف الأسلوب السابق.

وإن لم يقدر: (قولوا) كان في ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ التفات عن التكلم إلى الغيبة، فإن الله سبحانه حمد نفسه، ولا يكون في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ التفات؛ لأن (قولوا) مقدرة معها قطعًا، فإما أن يكون في الآية التفاتين أو لا التفات بالكلية»[1].

وبين شيخنا – حفظه الله – السرَّ في هذا الالتفات فقال: «إن المعاني السابقة من حمد الله، والثناء عليه، وذكر ربوبيته للعالمين، ورحمته الغامرة، وملكه ليوم الدين = تحث النفوس على الإقبال صوب الحق، متجهة إليه بالخطاب معلنة وحدانيته بالعبادة والاستعانة، وهكذا يكون الالتفات مشيرًا إلى تصاعد الإحساس بالجلال؛ حتى تخلص النفس في مراحل عروجها من شئونها الأرضية فتشافه الحق وتعلن هناك غاية العبودية والاستسلام»[2].

---

(١) البرهان ٣ / ٣٨٩.

(٢) الخصائص ص ٢٥٨.

• الخاتمة:

وبعد هذا التطواف البسيط أخلص إلى:

١- أن لغة القرآن أعظم اللغات، وأوسعها، وأشملها، كيف لا وقد تضمنها كتاب ربنا، ورحم الله حافظ إبراهيم حين قال على لسان اللغة العربية:

أنا البحر في أحشائه الدر كامنٌ فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

٢- أن أسلوب الالتفات من الأساليب التي تتضمن أسرارًا بلاغية عجيبة، ولاغرو حين وصفه ابن الأثير بأنه شجاعة العربية.

٣- أن فهم اللغة العربية، إعرابًا وصرفًا وبلاغة هو المعين- بعد الله عز وجل في فهم نصوص الكتاب العزيز.

٤- إن مما يجب على المسلم وخصوصًا طالب العلم أن يستزيد من علوم اللغة والقراءات وغيرها من العلوم؛ ليحصل على ما يصبوا إليه من التلذذ بكتاب الله عز وجل.

وأختم بما ختم به الشاطبي - رحمه الله - متنه، وشتان بين هذا وذاك:

وآخر دعوانا بتوفيق ربنا أن الحمد لله الذي وحده علا

وبعد صلاة الله ثم سلامه على سيد الخلق الرضا متنحلا

محمد المختار للمجد كعبة صلاة تباري الريح مسكًا ومندلا

وتبدي على أصحابه نفحاتها بغير تناه زرنبًا وقرنفلا

• ثبت المصادر والمراجع:

١- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي، ط. مكتبة بن تيمة، ١٤١٣هـ.

٢- أساليب بلاغية (الفصاحة - البلاغة - المعاني): د.أحمد مطلوب، ط. وكالة المطبوعات بالكويت، الأولى ١٩٨٠م.

٣- الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال: أحمد بن المنير، ط.حاشية للكشاف دار الفكر.
٥- البرهان في علوم القرآن: محمد الزركشي، ت. يوسف المرعشلي، ط.دارالمعرفة، الثانية١٤١٥هـ
٦- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: أبن أبي الأصبع المصري، ط.القاهرة، ١٣٨٣هـ.
٧- التسهيل لعلم التنزيل: محمد الكلبي، ط.دار الكتاب العربي، الرابعة، ١٤٠٣هـ.
٨- تفسير أبو السعود: محمد العمادي، ط. دار إحياء الترث العربي.
٩- تفسير البيضاوي، دار الفكر.
١٠- التفسير الكبير: فخر الدين الرازي، ط.دار الكتب لعلمية، الأولى ١٤٢١هـ.
١١- خصائص التراكيب: محمد أبو موسى، ط. مكتبة وهبة، السادسة ١٤٢٥هـ.
١٢- روح المعاني: شهاب الدين الألوسي، ط. دار إحياء التراث العربي، الأولى١٤٢١هـ.
١٣- زارالمسير: ابن الجوزي، ط.المكتب الإسلامي، الرابعة ١٤٠٧هـ.
١٤- فتح القدير: محمد الشوكاني، ط.المكتبة التجارية، الأولى ١٤١٢هـ.
١٥- الكشاف: الزمخشري، دار الفكر، بيروت.
١٦- لسان العرب: ابن منظور، ط.دار صادر، الرابعة ١٤١٤هـ.
١٧- المثل السائر: ابن الأثير الجزري، ط. دار الكتب العلمية، الأولى ١٤١٩هـ.
١٨- معجم المقاييس في اللغة: ابن فارس، ط. دارالفكر، الأولى ١٤١٥هـ